

كتاب درة التنزيل وغرة التأويل
لرأغب الأصفهاني وليس للخطيب الاسكافي

الأستاذ عمر عبد الرحمن الساريني

صدر عن دار « الآفاق الجديدة » في بيروت (١٩٧٣) كتاب
موسوم باسم « درة التنزيل وغرة التأويل » في المشابهات من آي القرآن
العزیز ، ونسبت الدار هذا الكتاب إلى الخطيب الاسكافي المتوفى عام
٤٢٠ هـ ، وذكر على الصفحة الأولى منه أنه « برواية ابن أبي الفرج
الأردستاني » ، واكتفي من ذكر المحقق والتحقيق بالقول : إنها « طبعة
مصححة ومقابلة على عدة مخطوطات ونسخ معتمدة » !.

وتأكيداً لنسبة هذا الكتاب للمؤلف المذكور فإن القائمين على
النشر في هذه الدار قد ترجموا له فيما يقرب من الصفحة الواحدة ، أتوا فيها
على كلمة للصاحب بن عباد عن ثلاثة من الأصفهانيين الذين يجمعون بين
حرفة الأدب وحرفة يدوية يكسب بها كل منهم رزقه ، ومنهم هذا
« المؤلف » الذي كان يعرف « بالخطيب » لأنه كان خطيب القلعة
الفخرية الشهيرة ، « وبالاسكافي » لأنه كان يمتن هذه الحرفة البسيطة
في خصف النعال وإصلاحها .

ولم يختلق ناشرو الكتاب هذه الحقائق اختلاقاً ، وإنما نقلوها - دونما
إشارة - من معجم الأدباء في ترجمة أبي عبد الله محمد بن عبد الله المعروف

بالخطيب الاسكافي (١) . وحينما عدد ياقوت مصنفات أبي عبد الله هذا ذكر منها « درة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة » .

ونسبة هذا الكتاب إلى هذا المؤلف في حاجة إلى إعادة نظر ، ذلك أنني وجدت ، وأنا اشتغل في بحث جامعي مقارب ، أنه منسوب إلى مصنف آخر ، هو الحسين بن المفضل أبو القاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ، وذلك في كل نسخة من النسخ التالية للمخطوطة التي تحمل اسم هذا الكتاب :

١ (رقم ١٧٦ في مكتبة أسعد أفندي بالسليمانية في استانبول .

٢ (رقم ٢٥ في مكتبة خسرو باشا بالسليمانية في استانبول .

٣ (رقم ١٨٠ في مكتبة راغب باشا بالسليمانية في استانبول (وهو

هنا باسم حل متشابهات القرآن) .

٤ (رقم ١٧٤٨ أ . ٨٥ في مكتبة أحمد الثالث (طوب قبو

سراي) باستانبول .

٥ (رقم ١٧٤٩ . ر . ١٨٣ في مكتبة أحمد الثالث (طوب قبو

سراي) باستانبول .

وبالإضافة إلى أن هذه النسخ كلها تنتسب إلى الراغب ، فإنها تتقارب

بعضها مع بعض إلى حد كبير . كذلك فإن هذا الكتاب قد يذكر باسم

« تفسير المتشابهات » (٢) ، وقد يذكر باسم « تفسير القرآن العظيم » (٣)

ولكن هذا التباين في الأسماء لا يعفيها من أن تنسب للراغب أيضاً .

(١) الجزء الثامن عشر ، مطبعة المأمون ، الصحيفة ٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) المخطوطة رقم ٢٥ بمكتبة خسرو باشا بالسليمانية في استانبول .

(٣) كما هو مثبت على غلاف مخطوطة « التدريفة إلى أخلاق الشريعة » المنسوب

للاغب ، وهي برقم ٧٦٨ بمكتبة إبراهيم باشا بالسليمانية باستانبول .

وبذلك يشير بروكلمان^(١) ، ودائرة المعارف الإسلامية^(٢) .

والذي أوقع القائمين على النشر في دار الآفاق البيروتية في الخطأ ، فنسبوا هذا الكتاب إلى الخطيب الاسكافي ، هو كما يبدو ، ما ورد في مقدمة بعض هذه النسخ [رقم ١٧٤٨ أ . ٨٥] بمكتبة أحمد الثالث باستانبول : (قال إبراهيم بن علي بن محمد المعروف بابن الفرج الأردستاني : هذه المسائل في بيان الآيات المتشابهة لفظاً أملاها أبو عبد الله محمد ابن عبد الله الخطيب في القلعة الفخرية) . ولكن الكتاب مفهرس ومبوب في المكتبة على أنه من مصنفات الراغب الأصفهاني .

وجملة « أملاها » التي أوقعت هؤلاء في التسرع لا تعني بالضرورة أنها من خلقه وإنشائه ، إلا إذا كانت أمالي أبي علي القالي كلها من بنات أفكاره نثراً ونظماً !.

وأغلب الظن أن الخطيب الاسكافي قد أملى عن الراغب هذا الكتاب ، كما يفعل التلاميذ والمعجبون والمريدون بمصنفات شيخهم .

والراغب الأصفهاني « أحد أئمة السنة »^(٣) ، وكان من حكماء الإسلام ، جمع بين الشريعة والحكمة في تصانيفه ، وله تصانيف كثيرة... وكان حظه من المعقولات أكثر ،^(٤) وكان أبو حامد الغزالي يعجب

(١) الجزء الثالث المبسط الصحيفة ٥٠٥ - ٥٠٦

(٢) المجلد التاسع ، العدد الأول الصحيفة ٤٧٣

(٣) المصدر السابق .

(٤) ظهير الدين البيهقي ، تاريخ حكماء الإسلام ، تحقيق ونشر محمد كرد علي ،

مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٦ ، الصحيفة ١١٢ ، ١١٣

بكتابه « الذريعة إلى مكارم الشريعة » (١) ، وقيل ان البيضاوي قد أفاد في تفسيره من تفسيره .

وقد اختلف في سنة وفاة الراغب فكثير من المراجع تذكر أنه توفي عام ٥٠٢ للهجرة (بروكلمان ، دائرة المعارف الإسلامية ، الاعلام معجم المؤلفين ، روضات الجنات) ، فإن كانت كذلك فكيف يقبل العقل أن يملي سابق عن لاحق ؟ أم إنها يتفقان في كتاب كبير الحرف بالحرف !؟

على أن مراجع أخرى تذكر أنه كان في أوائل المائة الخامسة للهجرة (٢) ، بل أن بعضها تحدد سنة وفاته في ٤٠٢ هـ (٣) (وربما جاء من هنا رقم ٥٠٢) ، وتجعل غيرها وفاته قبل ذلك ، في عام ٣٩٦ (٤) ، ويبقى الرأي الأغلب ، لعدة أسباب ليس هذا المقال مهياً لها ، أنه توفي في بداية القرن الخامس الهجري ، وهذا يؤيد ما قلنا من أن الخطيب الاسكافي قد أملى على الناس كتاب الراغب الأصفهاني .

عمر عبد الرحمن الساريتي

(١) مقدمة كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ط ١ ، ١٩٧٣

(٢) السيوطي ، بغية الوعاة ، مطبعة الخانجي ، ط ١ ، ١٣١٦ ، الصفحة ٣٩٦

(٣) هامش تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ١١٢ ، ١١٣

(٤) الإمام بدر الدين الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق أبو الفضل

إبراهيم ، ط ١ ، ١٩٥٧ ، ج ١ / الهامش ص ١٢٩